



تزامنت بوضوح المعركة التي فتحتها صحيفة الثورة السورية ضد الأردن ولبنان تحت عنوان التراخي عن تسلل الإرهابيين إلى سوريا عبر حدود البلدين مع تلك التسريبات التي توحى بعدم الاعتراض على (نشاطات) أمنية أردنية تحت لافتة إنسانية بدأت تتزايد في عمق جنوب سوريا.

عمليا لا يوجد إعلان رسمي أردني من أي نوع يوضح ما يجري في محيط حدود درعا جنوبي سوريا بمحاذة الحدود الأردنية حيث صمتت حركة النيران وتواصل تدفق اللاجئين وبدا أن البلدان متافقان على شيء ما في تلك المنطقة المرشحة للتحول لمنطقة عازلة تحت لافتة إنسانية.

بعض النشطاء الأردنيين تحدثوا يومي الأحد والاثنين عن عمق عملياتي جديد للأردنيين داخل نقاط الحدود مع سوريا شمال عدة كيلومترات.

اللافت جدا في السياق أن السفير السوري في عمان الجنرال بهجت سليمان لم يعترض إطلاقا على المسألة بل ساهمت سفارته في تسريب معلومات تفيد بأن ما يجري لوجستيا وأمنيا في مربع الحدود الأردنية السورية متفق عليه مع دمشق أو على الأقل لا يوجد في مواجهته اعتراض سوري.

ما يصادق على هذه الرواية هو تجنب الإعلام السوري وطوال الأسبوع الماضي التعرض للأردن من زاوية نفوذه المتزايد في أوساط عشائر وديمغرافية وجغرافية منطقة درعا جنوبا مع بروز آليات تنسيق ميدانية من الواضح أن عدد اللاجئين لن يزيد بدونها على الأرض.

القراءة السياسية للمشهد لا تبتعد عمليا وعملياتيا عن السيناريو الإنساني والروسي في التعاطي مع ملف اللاجئين والسماح للأردن بدور (نافذ) جنوب سوريا حيث تفلص حضور الجيش النظامي على الأرض وتزايد نفوذ الجيش الحر والسلفيين

أما القراءة اللوجستية الأمنية فتحث عن بعد آخر يبقى للأردن عملياً (موطئ قدم) في نقاط ما بعد الحدود الدولية الرسمية وفقاً لنظرية لنظام بشار الأسد (ترحب) بدعم روسي بأي ملامح اشتباك بين الأردن ونشطاء جبهة النصرة الذين باتوا يهددون الأمن الداخلي الأردني أيضاً.

هنا حسريا يمكن قراءة هجوم صحيفة الثورة السورية الأخير على الأردن وتحذيراتها له بأنه سيكتوي بنار الإرهاب الذي يسمح بتسلله إلى درعا على أساس أنه نوع من الضغط والتحفيز السوري النظامي الهدف في المحصلة إلى بقاء عمان (نشطة وفعالة) عندما يتعلق الأمر بنفوذها في محيط درعا خصوصا في التصدي لمقاتلي جبهة النصرة.

بعض الأوساط الأمنية المحلية في عمان تتحدث عن اختلاط محتمل لمقاتلين من جبهة النصرة بأوساط لاجئين سوريين وعن قاعدة لوجستية وسياسية وبشرية داعمة لجبهة النصرة في الساحة الأردنية المحلية ممثلة بـالتيار السلفي الجهادي. القيادي في التيار السلفي الأردني محمد شلبي - أبو سيف - كان قد أبلغ (القدس العربي) في وقت سابق بعدم وجود ملاحظات على تحول أردني ضد المجاهدين في سوريا حتى اللحظة مشددا على أنه (لكل حادث حديث) إذا حصلت مقدمات للاشتباك ومؤكدا بأنه لا يتوقع حصول احتكاك بين السلفيين والنصرة والحكومة الأردنية.

الواقع على الأرض تقول بذلك فالتقارب مع روسيا ثمنه وضع خطة جماعية مفصلة تحت عنوان مواجهة الإرهاب ومؤسسات القرار الأردنية تبدو مقتنعة اليوم بأن الصدام يقترب من مجموعات النصرة ووجود نشاط زائد لهم في جنوب سوريا يعني بأن عمان ستتحرك لحماية حدودها ومصالحها وإن كانت لا تسعى لأي احتكاك صدامي.

والواقع على الأرض تقول بتنامي نفوذ الدور الأردني في جنوب سوريا مرحليا وفي نطاق تسوية نهائية مسألة باتت تكتيكياً أساسية بالنسبة لعمان لأنها تضمن جلوسها على الطاولة عندما تحين التسوية الكبرى، الأمر الذي يبرر ويفسر كثرة الشكوى من تزايد عدد اللاجئين السوريين شمال الأردن دون إغلاق الحدود.

وعلى هذه الأسس يمكن تلمس مؤشرات حيوية تفيد بنظام دمشق يحفز الأردنيين ويضغط عليهم إعلامياً وبدأ يميل لذلك اعتباراً من الأسبوع الماضي حيث وجهت عدة رسائل إعلامية تحذيرية لعمان من المرجح أنها قد تنفع في التغطية على (اتفاقيات) غير معلنة أو ضمنية أو مس克وت عنها عبر الوسط الروسي، بدأ مشهد الحدود يتربّى على أساسها.

..هذه الاتفاقيات لا أحد يعرف تفاصيلها وحيثياتها لكن الخبراء يشتمون رائحتها ويتمسون ملامحها عمليا في محيط العلاقة اليومية بين دمشق وعمان خصوصا لوجستيا وحدوديا وإلى حد ما أمنيا.

وأغلب التقدير أنها (تفاهمات) تتخذ حتى الآن طابعاً سورياً وتستند إلى وقائع المشهد على الأرض في حوض درعاً وحوران المشترك بين البلدين وإن كانت تقاهمات اضطرارية وليس اختيارية للجانبين وتبدل أو تتغير بالقطعة ووفقاً للاعتبارات اللوجستية في المنطقة وبناء على ميزان القوى الدولي والإقليمي.

لكن في جوهر وعمق المشهد ثمة ارتياح متباين وأوراق تحفظ بها عمان ودمشق باتجاهات متعاكسة مما يجعل هذه التفاهمات مضطربة أو غامضة أحياناً ومما يدفع بإتجاه رسائل من نوع آخر أكثر خشونة خصوصاً وأن عدة جهات وأطراف وليس جهة واحدة تحكم بالقرار السوري اليوم.

المصادر: